-مستوى : السنة الثالثة ليسانس - السنة الجامعية : 2021/2020

- مقياس فلسفة الأخلاق د حابل نذير

الأخلاق عند فلاسفة الإسلام

بواكير التفكير الأخلاقي في الإسلام : لا بد من الحديث عن الأخلاق قبل مجيء الإسلام/ أخلاق العرب ، العرب لم تكن لديهم فلسفة خلقية ، ومع ذلك فقد كان لديهم شعرهم الذي يعد ديوانهم وسجل تاريخهم ، فقد كان الشعر حافلا بالحكم الدالة على رجاحة العقل وصفاء الذهن والعواطف الأخلاقية (التحذير من التكبر ، التهديد بالانتقام الإلهي ... إلخ) . كل هذا كان قاعدة للرسول (ص) لتحسين الأخلاق فيما بعد حتي الرسول كان يوصف بالأمين قبل الرسالة ، هذا دليل على وجود فضائل في حياة العرب يفخرون بها ، هناك أيضا رذائل يتحرزون منها .

رغم تسمية العصر بالجاهلية – نتيجة الوثنية التي كانت سائدة - ، إلا أن هناك فئة خاصة يعود إليها العرب طلبا للاستشارة وحل المشاكل تمثل هذه الفئة حكماء عند العرب الذين هم أعظم الناس حظا في الثقافة .

هناك أمثال وحكم تصب في المنحى الأخلاقي (دفع الظلم ، الوفاء، نصرة العدل ...) .

مع رسالة الإسلام هناك ارتقاء بالأخلاق (رسالة أخلاقية جامعة) ، {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (النحل:90) . { أفَمَن يعلمُ أنّ ما أُنْزِلَ إليك من ربّك الحقُّ كَمنْ هو أعمى إنمّا يتذكّرُ أُولُو الألباب* الذينَ يُوفونَ بعهدِ اللـهِ ولا ينقُضون الميثاقَ والذين يَصِلُونَ ما أمر اللَّهُ به أن يُوصَلَ ويخشونَ ربّهم ويخافونَ سوءَ الحساب } ، (الرعد/19-21).

الأخلاق في الإسلام تقوم على الوسطية بين المثالية والواقعية

المثالية : { فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ } الشورى : 40 العفو عند المقدرة ، العفو كقيمة جزاؤها مثالي ، وهو يتضمن الارتقاء عن سيطرة الانفعالات والتعالي عن الانتقام .

الواقعية:{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْر لِلصَّابِرِينَ} النحل 126 أي إمكانية التطبيق .

يعتبر القرآن موجه أخلاقي إنساني (هناك صياغة أخلاقية لجميع مناحي الحياة : السياسية ، الاقتصادية ، العسكرية ، الاجتماعية ، العقيدية) ، وهدف الإسلام بلوغ الأخلاق الفاضلة هدفا ومقصدا ، فالقرآن دستور الإسلام وقد حفظ القانون الأخلاقي ، هو كتاب جامع للقانون الأخلاقي الذي جاء به موسى وعيسى .

كل القانون الأخلاقي جاء متفرقا على شكل سور وآيات ، وهنا يختلف عن الوصايا العشر لموسى في التوراة

هناك مصدر آخر للتشريع الأخلاقي هو السنة التي تعد تفسيرا للقرآن (الجانب التطبيقي)

لقد اهتم المسلمون في البداية بالجانب التطبيقي في صدر الإسلام ، هذا يعني أنهم لم يكونوا في حاجة إلى البحث العقلي في الخير والشر ، فقد كان الجانب النظري (البحث العقلي) عند المسلمين كان متأخرا إلى

غاية القرن 2 الهجري ، حيث انتعشت حركت الترجمة التي اقتصرت في العصر الأموي على علوم (الكيمياء ، الفلك ، الطب ...الخ) ، بينما في العصر العباسي هناك نهظة حضارية وفكرية واتسعت التراجم لتشمل الفلسفة والمنطق والعلوم التجريبية الأخرى وبعض المؤلفات الأخلاقية مثل ابن المقفع (مات مقتولا 757 م) ترجم العديد من الرسائل الأصلية في الأدب والأخلاق خاصة الفارسية منها (الأدب الصغير والأدب الكبير)

فلاسفة الإسلام والقضايا الأخلاقية : مكنت الترجمة من الانفتاح على عدة مصادر ، يرى الجابري في " العقل الأخلاقي العربي " أن العقل الأخلاقي العربي عقل متعدد التكوين تلتقي فيه خمس موروثات ثقافية :

- الموروث العربي الخالص (ما قبل الإسلام)
- الموروث الإسلامي الخالص (المرجعية الإسلامية – القرآن والسنة)
- الموروث الفارسي (ثقافة الحضارة)
- الموروث الصوفي العرفاني
- الموروث اليوناني (أفلاطون وأرسطو)

الفلسفة اليونانية نفذت إلى المسلمين في العصر الذهبي للدولة العباسية ، وهنا بدأ المسلمون البحث العقلي وظهرت اتجاهات أخلاقية ، هناك تقسيمات مختلفة للفكر الأخلاقي الاسلامي :

التقسيم الأول : - المرحلة الأولى : معالجة الإشكالات الخلقية الناتجة عن تدبر النصوص الشرعية جمال علال البختي، الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن السابع الهجري، ص 34

مثل مسألة العدل الإلهي ، ماهية البر وما اتصل بها من طاعات ومعاصي .

- المرحلة الثانية : بداية التفاعل بين الفكر الديني الإسلامي والفكر الفلسفي اليوناني (مؤلفات الكندي ، الرازي الذي تأثر فيها بسقراط والرواقيين)
- المرحلة الثالثة : تأثير الأخلاق النقوماخية ، شروحات يونانية متأخرة (أبو علي مسكويه) .
- المرحلة الرابعة : دمج الجانب الفلسفي مع الديني والصوفي (مثلا مؤلفات : ميزان العمل للغزالي أدب الدنيا للماوردي،رسالة بن حزم في الأخلاق والسير،رسالة فخر الدين الرازي في النفس والروح

هناك تقسيم آخر:- الأخلاق العملية المستقاة من القرآن والسنة(364-450) مع الحسن البصري والماوردي

- النزعة الدينية والصوفية والنظر الفلسفي (450-505) مع الغزالي (إحياء علوم الدين وميزان العمل
- بناء الأسس الفلسفية نتيجة التأثر بالفلسفة اليونانية (الكندي ، الفرابي ، ابن سينا ، إخوان الصفا ، مسكويه ، ابن رشد ، ابن طفيل)

فلسفة الأخلاق عند الفرابي : لماذا الفرابي ؟ باعتباره أكثر الفلاسفة اهتماما بالأخلاق (كثرة المؤلفات والرسائل وإحصاء العلوم)

يعتبر الفرابي الأخلاق علما مدنيا ، يقسم العلوم إلى : علم اللسان ، المنطق ، علم التعاليم ، العلم الطبيعي ، العلم الإلهي ، العلم المدني ، علم الفقه ، علم الكلام . وهذا التصنيف أرسطي أضاف له الفرابي علم الفقه وعلم الكلام .

العلم المدني هو الذي يفحص أصناف الأفعال والسنن الإرادية والملكات والأخلاق والسجايا والشيم ... وعن الغايات التي لأجلها تفعل وكيف تكون في الإنسان .
العلم المدني يهتم بالسعادة والفضيلة ، هنا يتضح التأثر بأرسطو
الفرابي كتب تحصيل السعادة ، والأخلاق عنده علم يفحص عن الغرض الذي لأجله كون الإنسان ، أي الكمال الذي لابد أن يبلغه ، لقد تأثر الفرابي بأفلاطون وكذلك بأرسطو ولذلك سمي بالمعلم الثاني.
العلم الدني عنده هو الذي ينال به أهل المدن السعادة ، كل واحد بما أعد له بالفطرة (هناك استعداد فطري للأخلاق) ، وهنا يشترك الفرابي وأرسطو في القول بأن الأخلاق علم عملي أي ممارسة الأفعال المحمودة .
لقد اهتم الفرابي بالسعادة والفضيلة واللذة وعلاقة السياسة بالأخلاق كما تأثر بأفلاطون في الأخلاق والسياسة وبأرسطو في المنطق والطبيعيات .
نظرية السعادة عند الفرابي : السعادة حالة إرضاء وجودي (مادي ، عقلي ، وجداني ، ترتبط بالخير والعدل والواجب والعقل والقلب والجمال والفضيلة والكمال ، وهي أقصى المراتب التي ينبغي أن تصل إليها الذات البشرية لتحقيق إنيتها وتحقيق وجودها الأنطولوجي والأكسيولوجي .
وحتى لغة نجد السعادة تعني اليمن خلاف الشقاوة / النحوسة .
ترتبط السعادة عند المسلمين ترتبط بمرجعية يونانية(أخلاق السعادة) إلا أن المسلمين حاولو إعطائها البعد الإسلامي (الفرابي : تحصيل السعادة ، التنبيه على سبيل السعادة) .
تكون السعادة سلوكا فرديا عندما ترتبط بعلم الأخلاق ، وتكون سلوكا جماعيا عندما ترتبط بالسياسة السعادة دوما هي الخير الأقصى وتطلب لذاتها وهي من كمالات الإنسانية .
هناك مبدآن للأخلاق : الطبع والإرادة ، وهي أيضا فكرة أرسطية تتمثل في إرادة الخير والشر فقد تصور الفارابي أن الأخلاق صادرة عن نفس الأجسام السماوية ، باعتبار النفس تنقسم عند الفارابي إلى (نفس الأجسام السماوية ، نفس الإنسان ، نفس الحيوان)
الشر الإرادي (القبيح) : مصدره القوة الناطقة باعتبار العقل خاصية الإنسان . والعقل قسمان :
قسم نظري هو جوهر النفس
وقسم عملي هو الفعل الإنساني
<u>المدينة الفاضلة و علاقتها بالسعادة عند الفارابي</u> :لقد ذكرنا سابقاً أن الفارابي يجعل الأخلاق فرعاً للسياسة، حتى أن هناك من يؤكد على أن "المحتوى الأخلاقي هو الغالب في فلسفة الفارابي و تكون السياسة عنده فلسفة أخلاقية أكثر من كونها علماً مستقلاً . يمكننا القول أن غاية الأخلاق و السياسة واحدة فسعادة الفرد مرتبطة بسعادة المجتمع، و الإنسان بطبعه يحتاج غيره .
المدينة الفاضلة التي ينشدها الفارابي هي نموذج لمجتمع إنساني راقٍ يؤدي كل فرد فيه وظيفته الخاصة التي تلائم كفاياته، حيث يشبه الفارابي المدينة الفاضلة بالبدن التام الصحيح، تتعاون أعضاؤه في سبيل الحياة و حفظها، يقول الفارابي :" و كما أن البدن أعضاؤه مختلفة، متفاضلة الفطرة و القوى، و فيها عضو واحد رئيس هو القلب... كذلك المدينة، أجزاؤها مختلفة الفطرة، متفاضلة الهيئات، و فيها إنسان هو رئيس، و آخرون تقرب مرتبتهم من الرئيس و الفرق بين المدينة و البدن أن أعضاء البدن طبيعية، و الهيئات التي لها هي قوى طبيعية، على حين أن أجزاء المدينة ـ و أن

كانوا طبيعيين ـ فإن الهيئات و الملكات التي يعقلون بها أفعالهم للمدينة، ليست طبيعية بل إرادية. هذا التشبيه مقتبس من "جمهورية" أفلاطون.

إنسية الأخلاق عند مسكويه :

مع أبي علي مسكويه هناك انعطاف نحو مفهوم الإنسان الذي لقي اهتماما في الفلسفة الأخلاقية من خلال اهتمامها بمفهوم الإنسية Humanisme وبشكل خاص في القرن 5 هـ / 11 م

فقد اهتم مسكويه بـ الإنسان باعتباره محور القيم والمعرفة و الوجود ، الإنسان هنا كيان أخلاقي تنبع عنه قيم من اختياره التي وفقا لملكاته الفكرية تتحقق الفضائل .

الغاية السامية هي الفضيلة التي بها يعلو الإنسان وهي تستند إلى ضوابط منطقية تجعل الخلق قابلا للحصول شريطة توفر : الإرادة والاختيار / والوعي الأخلاقي (الضمير) ، كل ممارسة أخلاقية ينبغي أن تكون نابعة من ذاتها وتسعى إلى تحقيق ذاتها(هو جوهر الأخلاق) .

الإنسان عند مسكويه كائن أخلاقي بالأساس ، وقد اهتم مسكويه في (التهذيب) بمحاولة دراسة السلوكات الإنسانية وفق منهجية علمية صارمة أي :

ربط الأخلاق بالاجتماع (وهذا يمثل البعد المعرفي)

قيام الأخلاق على وعي عقلي (وهذا يمثل البعد الواقعي) باعتبار الأخلاق ليست نصوصا نقلية فقط .

- المنظومة الأخلاقية لمسكويه تنفصل عن كل اعتقاد سائد داخل المجتمع (أي أنها تؤسس لفكر إصلاحي على مستوى القيم الفردية والجماعية) ، هذا الفكر يخاطب العقل كقيم (خاصة /عامة) وهذا يعني معيار التصرف في الحياة العامة والخاصة ، هي أخلاق إنسية بالأساس تتوجه نحو اختبار قدرة الإنسان على تقويم سلوكاته .
- هي كذلك أخلاق إسلامية (واردة في الكتاب والسنة) حاول من خلالها التوفيق بينها وبين الأخلاق اليونانية (أفلاطون وأرسطو وجالينوس) .

إذا كانت الأخلاق مؤسسة على عنصر الوعي والحرية أساسا فإلى أي حد يشكل الوعي الأخلاقي انعكاسا لإرادة العقل ؟ وكيف يجسد الهوية الأخلاقية للإنسان ؟

الملكة الفكرية للإنسان تتجسد في القدرة على التمييز بين الخير والشر ، الجميل والقبيح ، من هذه القاعدة ينبثق العقل الفاعل لا العقل المنفعل .

والفعل الأخلاقي يصدر لذاته بعيدا عن الإكراه وهذه خاصة العقل الفاعل المستقل عن كل الإكراهات فالوعي الأخلاقي هو استجابة لنداء داخلي ، هذا النداء موجود في كل كائن بشري .

مثلما توجد في النفس استعدادات معرفية (لتحصيل المعارف) ، توجد فيها أيضا استعدادات خلقية (لتحصيل الأخلاق .مثلا : المعارف الحسية تأتي من الخارج لكنها ليست دوما صحيحة مثل : الخداع البصري ، لكن النفس سرعان ما تدرك خطأ الحواس وتصححها ، لذلك فالذات الفاعلة مفكرة عاقلة موهوبة تمتلك وسائل الفهم والوعي وهذا ما يجعلها حقا محور المعرفة والأخلاق .

يعتبر الاختيار أساس الأخلاق وهو فعل جوهري قبلي (مقولات قبلية معطاة) وهو شرط ذاتي لا ينفعل بالعوارض الخارجية وبالتالي هو جوهر يمتلك صلاحية عقلية وعلمية (يتماشى مع روح العصر آنذاك) ولا يلحقه الفساد .

فالسلوك الأخلاقي واع ثابت ممتد في الزمان والمكان وأساس الخلق هو العقل الأخلاقي الفردي الذي يتسم بطابع القصدية .

- إذا كان مسكويه يستهدف تحقيق الكمال والاجتهاد في الفضائل (الحكمة الإنسانية) التي يتعالى بها عن الحس فهل هناك صورة قبلية يقاس بها مستوى أخلاق الإنسان ؟؟

نعم – حسب مسكويه – فالنموذج هو الله الذي هو الخير الأول والجوهر البسيط يصدر عنه الفعل لذاته وفي ذاته مستقل عن كل الإكراهات ، فالله هو نموذج الفعل الأخلاقي ، والإنسان في نظر مسكويه يسعى إلى تحقيق الألوهية (ومحاكاة أفعال الله) من باب الحكمة والأخلاق ، وبهذا يظهر مفهوم الله كتجل متعال للمثال الحي والأرقى (الإنسان)

- يفصل مسكويه بين مفهوم الإلزام والإلتزام

الإلزام : هو انفعال الذات أمام الترهيب وهو فعل لا قصدي يوجد خارج وعي الذات بذاتها وهنا لا يصبح الخير لذاته بل لسبب خارجي .

الإلتزام : هو تعاقد الإنسان مع وعيه الأخلاقي هو تعقل واختيار ، هذا الإلتزام ينتج أخلاقا خالصة ومحضة هنا العقل يصدر أخلاقا خالصة ومحضة (هنا العقل يصدر أمرا لتحصيل الفضيلة)

- مصدر هذه الأخلاق عند مسكويه هو استعداد الذات لتقبل الأخلاق عن طريق التهذيب أي : توفر الحكمة والمعرفة لتجنب المدارك السفلى والطموح إلى المدارك العليا إضافة إلى قابلية التخلق والنقد الذاتي (المراجعة الذاتية) .
- هل يصدر السلوك عن اختيار ومراجعة عقلية أم عن انفعال عاطفي ؟ هل هو فعل لذاته أم لغرض آخر ؟
- أساس الأخلاق عند مسكويه هو الوعي ومعيارها هو الإنسان الساعي لتحقيق أكبر لذاته (محاكاة أفعال الله) ولكن أين يكمن الجانب المعقول هنا ؟ وما موقع الإنسان داخلها ؟

إنسية الأخلاق علميا و واقعيا : الإنسان هنا كائن أخلاقي وهو مقوم أساسي هويته ملازمة لصفة أخلاقية

هنا يصبح كل تنظير للأخلاق لا قيمة له دون مركزية الإنسان ، فالإنسان مركز كل عملية أخلاقية وهو المعيار والأساس والمنطلق الأول ومصدر كل القيم الأخلاقية .

يتحدد الإنسان في مستويين : - مستوى فيزيولوجي جسماني – ومستوى سيكولوجي نفسي

تهذيب النفس أساسي وهنا يكون التمييز بين النفس والجسم ، فالجسم مثلا لا يقبل صورة أخرى إذا كانت فيه صورة قبلها مثال : الشمع نقوم بنقش صورة خاتم على الشمع وعندما نحاول إضافة صورة أخرى لا نستطيع حتى نزيل الصورة الأولى ، الجسم هنا له توجه واحد على المستوى الفيزيولوجي .

أما النفس فعلى العكس تقبل صور الأشياء كلها اختلافاتها من المحسوسات والمعقولات وتختار بحرية حيث لا وجود للإكراه .

ولكن : هل الخلق ميزاج فطري أم عادة أم تأديب ؟ ، الخلق حصيلة الجمع بين الثلاث إضافة إلى أهم عنصر وهو المعرفة التي تمثل الشق النظري ، التأديب هنا هو المنهج / الواقع ويكون للفصل في الصراع الذي تعيشه النفس بين القوى ، هنا يقول مسكويه بضرورة تغليب قوة الغضب على القوة البهيمية (الشهوة) إن شعر الإنسان بغلبة اللذة ، وهذا دليل على أن مسكويه لا يقدم يوتوبيا حالمة مع أنه لا ينكر أن الإنسان فُطر على حب اللذة (كائن حيواني له رغبات ينبغي إشباعها) .

- الأخلاق متغيرة في الذات والأساس هو حفظ التوازن بين القوى الثلاث (العقل ، الغضب ، الشهوة) هناك صراع وهو ما عبر عنه أبو حيان التوحيدي بـ " ... الإنسان أشكل عليه الإنسان ..."
- الأخلاق النى يتبناها مسكويه تتسم بـ: الإنسية / المعقولية / الواقعية ، والفعل الإنساني : إنسي / واقعي / علمي،حيث هناك ترادف بين الخلق والطبع على المستوى اللغوي نجد مفهوم الخلق في لسان العرب يعني:الفطري الموجود بشكل قبلي في الإنسان لا يقصد به الاكتساب،والطبع كذلك فطري .
فكيف نقل مسكويه الخلق من الفطرة إلى الاكتساب ؟ نقله إلى التخلق والتطبع وهذا موجود عند اليونان الذين لم ينكروا الفطري ولكنهم قالوا بضرورة المكتسب .
في عصر مسكويه كانت هناك سياقات إسلامية تنويرية (فلسفة أخلاق جديدة) تؤمن بالطبع والتخلق (المعتزلة في علم الكلام ، الكندي في الفلسفة ، مسكويه في الأخلاق)
محاولة مسكويه أنسنة الأخلاق تجاوزت حدود الإنسانية إلى إمكانية إدراك النبوة والارتقاء على مداج الإنسانية ، حيث إذا صار الإنسان كاملا وبلغ غاية أفقه أشرق نور الأفق الأعلى عليه وصار حكيما تاما تأتيه الإلهامات أو نبيا مؤيدا يأتيه الوحي أي واسطة بين الملأ الأعلى والملأ الأسفل ، مثل فكرة المعتزلة (النبوة جزاء من عمل) .
هناك مرحلتان : مرحلة إنسية فيزيائية /فيزيقية

مرحلة ما بعد إنسية : فيها تجاوز للإنسان وانخراط في الميتافيزيقا والآفاق العلوية .

- المفهوم الإنسي للأخلاق يدمج الإلهيات ضمن مجال العقل أين يصبح الإنسان مجال استيعاب أوسع وطاقة هيمنة تمكنه من السيطرة على العالم ثم لعب دور الوساطة بين الإله والمخلوقات ،
- أراد مسكويه جعل الإنسان كائنا متعاليا حرا يتجاوز الضرورات والحتميات .
- الإنسان بين الحرية و الضرورة والمسؤولية : الإنسان وحده يختار أفعاله الحميدة ، يحب عن اختيار (عن ملكة عاقلة وتروي) وعن إرادة ، هذه الإرادة تستلزم شروط المسؤولية وحضور الوعي الذي يراقب الأفعال التي تعد أسبابا للنتائج / ثبوت حرية الإرادة يقتضي المتابعة الأخلاقية (المسؤولية) والإنسان يعيش حتميات (ضرورات طبيعية ، معرفية ، نفسية ، عقلية ....) إلا أن الوعي بها هو أساس التحرر منها .